صور من
علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى
مقارنة بين الماضي والحاضر

٩٠٠٠٠٣٧-١

بحث مقدم

لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية
الذي نظمته جامعة أم القرى
بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد
في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ

أعداد
د./خالد عبد الرحمن القريشي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}(١).

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً}(٢).

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}(٣) (٤).

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، من وظائف الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأمم هؤلاء الأنبياء اختلفوا في القيام بهذه المهمة والوظيفة العظيمة، ولكن بلا شك فإن أمة محمد ﷺ، هي خير هذه الأمم في القيام بهذه الوظيفة، ووراثتها عن الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- يقول الله تبارك وتعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}(٥).

وقد ضربت هذه الأمة المباركة، أعظم الأمثلة والنماذج الحية في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فضحوا بالغالي والنفيس، والروح والمال، والصغير والكبير، في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ونشر دين الله عز وجل، ومن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠، ٧١.

(٤) قال بعض العلماء: هذه الخطبة تسمى عند العلماء بـ (خطبة الحاجة) وهي تشرع بين يدي كل خطبة، سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٣/١. الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت. وشرح مقدمة التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ص٥، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ط دار الوطن، الرياض).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

هذه الأمثلة العظيمة والصور الجميلة؛ الأوقاف التي أوقفوها في سبيل الله تعالى، وخدمة لدينه، ودعوة إليه.

ومن هنا، وفي هذه الجانب أتحدث في هذا البحث، وبشكل موجز، عن العلاقة بين الوقف والدعوة إلى الله تعالى، بذكر صور ونماذج من الماضي والحاضر، وأقارن بينهما، للوصول إلى نتائج تخدم هذه العلاقة، وتوثق الصلة بينهما، وتزيد في رسوخها.

فلذا اخترت لهذا الموضوع العنوان الآتي: (صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى - مقارنة بين الماضي والحاضر)، على أن يكون تقسيم البحث وفق ما يأتي:

- **المقدمة:**
- **التمهيد:ويشتمل على الآتي:**
- **تعريف الوقف.**
- **تعريف الدعوة.**
- **العلاقة بين الدعوة والوقف.**
- الماضي و الحاضر.

الفصل الأول صور من الوقف على الدعوة في الماضي.

يذكر فيه بعض الأمثلة من الوقف الذي يخدم الدعوة إلى الله تعالى، كالوقف على الجهاد، أو التعليم، أو على الاحتساب، أو على المسلمين الجدد. وهكذا.

الفصل الثاني: صور من الوقف على الدعوة في الحاضر.

يذكر فيه بعض الأمثلة من الوقف الذي يخدم الدعوة إلى الله تعالى، كالوقف على الجهاد، أو التعليم، أو على الاحتساب، أو على المسلمين الجدد، أو على مكاتب الدعوة، وهكذا.

الفصل الثالث:مقارنة بين الماضي والحاضر.

وتكون المقارنة من خلال الآتي:

١ – من حيث القائمين بالدعوة إلى الله تعالى (الواقفين وهيئة النظر).

٢– من حيث موضوع الدعوة: أنواع الوقف وأحجامها وأهدافها وشمولها.

٣ – من حيث الوسائل والأساليب: عملها وطريقة تحصيل غلتها.

٤ – من حيث المدعوين، وهم: من تصرف عليهم الغلة والثمار.

الخاتمة

وبعد: فأسأل الله ﷻ، التوفيق والسداد فيما أقول وأكتب، وأسأله ﷻ، أن يجبر العيوب ويستر الزلل، وأن ينفع بهذا البحث، ويبارك فيه، وحسبي أن أحاول، وأن أبدأ السير متوكلاً على الله ﷻ، مستعيناً بحوله وقوته، متبرئاً من حولي وقوتي، راجياً منه القبول.

التمهيد

ويشتمل على الآتي:

- تعريف الوقف.
- تعريف الدعوة.
- العلاقة بين الدعوة والوقف.
- الماضي.
- الحاضر.

فقبل البدء في الكتابة، يحسن بنا أن نُعرّف بعض مفردات عنوان هذا البحث، وهي على النحو الآتي:

١ – تعريف الوقف:

لغة: من وقف، وقوفاً، قام من جلوس، وسكن بعد المشي. ووقف الدار ونحوها في سبيل الله تعالى، أي حبسها، والجمع وُقْفٌ، ووُقُوفٌ، وقولهم: أوقَفَ الدار، أو الأرض، وغيرها، فهي لغة رديئة(١).

واصطلاحاً: عرفه ابن قدامه بـ (تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة)(٢). والمراد بتحبيس الأصل: أي أن يُحَبِّس المالك المكلف الحر الرشيد، أو وكيله المتصف بهذه الصفات، ماله المنتفع به مع بقاء عينه. والمراد بتسبيل المنفعة: أي إطلاق فوائد العين الموقفة من غلة وثمرة وغيرها للجهة المعينة، تقرباً إلى الله تعالى(٣).

٢ – تعريف الدعوة: تطلق كلمة الدعوة ويرد بها معنيان:

أحدهما – الإسلام نفسه. وثانيهما – بمعنى النشر والبلاغ. وهذا هو المقصود في هذا البحث. وهناك تعريفات كثيرة تحت المعنى، منها:

الأول: (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، ت/ عبد الله الكبير، وإخوانه، مادة (وقف)، ٤٨٩٨/٨، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار المعارف، بيروت. ومعجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ عبد السلام محمد هارون، مادة (وقف)، ١٣٥/٦، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ط دار الجيل، بيروت.

(٢) المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسي الحنبلي، ت/ الكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح الحلو، ١٨٤/٨، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ، ط هجر، القاهرة. والروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي، ص٣٠٠، طبعة ١٤٠٥هـ، ط عالم الكتب، بيروت.

(٣) انظر المرجعين السابقين.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ,وسائلها، د/ أحمد غلوش، ص١٠، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ، ط دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

الثاني: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)(١).

٣ – **العلاقة بين الدعوة والوقف:** فمن خلال التعريفات السابقة نصل إلى أن العلاقة بين الوقف والدعوة علاقة وثيقة، فالوقف من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وخاصة من وقف شيئاً على الجهاد، أو التعليم، أو على المسلمين الجدد ترغيباً في إسلامهم، وتثبيتاً لهم عليه، وهكذا.

فقد أسهم الوقف في الإسلام مساهمة فعّالة، ظهر أثرها في المجتمعات الإسلامية بوضوح كبير، وفي مناحي متعددة منها، حتى أصبحت الأمة الإسلامية بسبب أوقافها؛ مضرباً للمثل – لغيرها من الأمم – في رقيها وحضارتها، ومن هذه الأوقاف على سبيل المثال، ما يأتي:

أن الوقف سبب رئيس في قيام المساجد، والمحافظة عليها، فالناظر في التاريخ الإسلامي يجد أن أكثر المساجد، إن لم تكن أغلبها، قامت على تلك الأوقاف، بل إن كل ما يحتاج إليه المسجد من فرش، وتنظيف، ورزق القائمين عليه، يكون من غلة هذه الأوقاف، وثمارها.

وكما أن الوقف لها أثر كبير في قيام المساجد، فكذلك كان له النصيب الأوفر في قيام وتفعيل وظيفة المدارس، ودور العلم والتعليم، وحلقات التعليم في المساجد، والمكتبات، والمستشفيات، والملاجئ، ودور الأيتام، وحفر الأبار، وإقامة السقيات في المدن وعلى طرق المسافرين، وغيرها من الصور العظيمة التي تسابق المسلمون في وقف الأوقاف فيها، أو عليها، ابتغاءً للأجر من الله ﷻ.

٤ – **الماضي:** وأعني به ما كان في زمن الرسول الكريم ﷺ، وصحابته الكرام﷡ ، وما في القرون الثلاثة الأولى للإسلام والمسلمين.

٥ – **الحاضر:** وأعني به: ما في هذه البلاد (السعودية)، منذ قيام الدولة الأولى على يد الإمامين محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمهما الله تعالى– عام ١١٥٧هـ، إلى زماننا الحاضر، الذي نعيشه الآن ١٤٢١هـ.

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ص١٧، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفصل الأول

صور من الوقف على الدعوة في الماضي

لقد كانت أفعال رسول الله ﷺ، واستجابة صحابته الكرام ﷺ، ومن بعدهم من السلف الصالح في القرون الأولى للإسلام، للنصوص الشرعية التي ترغب في الوقف والصدقة قوية جداً، بل فيها أعظم الصور وأقواها دلالة على حب الإنفاق والمسارعة في الخيرات، فقد أوقف الرسول الهادي والقدوة الحسنة للمؤمنين ﷺ، سلاحه ودابته وأرضاً له، إذ أخرج البخاري – رحمه الله تعالى – عن عمرو بن الحارث ﷺ، أنه قال: (ما ترك النبي ﷺ ، إلا سلاحه، وبغلة بيضاء، وأرضا جعلها صدقة)(١).

بل كان أول وقف في الإسلام، هو مسجد رسول الله ﷺ، بالمدينة، فقد أخرج البخاري ومسلم – رحمهما الله تعالى – عن أنس ﷺ قال: (أمر النبي ﷺ، ببناء المسجد فقال: « **يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا** »، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله)(٢). فقام هذا المسجد المبارك بوظيفة عظيمة في نشر الإسلام والدعوة إليه، وتعليمه للناس.

هذا وقد كان رسول الله ﷺ، يحضّ أصحابه على الصدقة والوقف في سبيل الله، ويرغبهم في هذا العمل، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: « **من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله، وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة** »(٣).

ويقول ﷺ، « **الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم** »(٤).

وهاهو يثني على الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ، لما أوقف في سبيل الله تعالى أدرعه وعتاده،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من لم ير كسر السلاح عند الموت، برقم ٢٩١٢، ٣/٣٠٢، طبعة ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف جماعة أرضاً مشاعاً فهو جائز، برقم٢٧٧١، ٣/٢٥٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً، لقوله تعالى {ومن رباط الخيل..}، برقم٢٨٥٣، ٣/٢٨٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، برقم ٢٨٥٢، ٣/٢٨٤. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم٦٨٢، ٢/٦٨٣، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فيقول: « **أمّا خالد فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس أدراعه، وأعتاده في سبيل الله** »(١).

وروى ابن عمر ﵄، أن عمر بن الخطاب ﵁، أصاب أرضاً بخيبر فأتى النبيﷺ ، يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به ؟ قال: « **إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها** »، قال: فتصدق بها عمر: أنه لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف متمول(٢).

وروى النسائي مواقف عظيمة لعثمان بن عفان ﵁، في وقف الأوقاف في سبيل الله ﷾، فعن الأحنف بن قيس أنه قال: ثم أتيت المدينة وأنا حاج، فبينا نحن في منازلنا، نضع رحالنا، إذ أتى آت فقال: قد اجتمع الناس في المسجد، فاطلعت فإذا يعني الناس مجتمعون، وإذا بين أظهرهم نفرٌ قعودٌ، فإذا هو علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وسعد ابن أبي وقاص – رحمة الله عليهم – فلما قمت عليهم، قيل: هذا عثمان بن عفان قد جاء، قال: فجاء وعليه مُلَيَّةٌ صفراء. فقلت لصاحبي: كما أنت، حتى أنظر ما جاء به. فقال عثمان: أههنا علي ؟ أههنا الزبير ؟ أههنا طلحة؟ أههنا سعد ؟ قالوا: نعم.

قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: « من يبتاع مِربد بني فلان غفر الله له »، فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ ، فقلت: إني ابتعت مربد بني فلان، قال: « **فاجعله في مسجدنا وأجره لك** »، قالوا: نعم.

قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: « من يبتاع بئر رومة غفر الله له »، فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: قد ابتعت بئر رومة، قال: « **فاجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك** »، قالوا: نعم.

قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، قال: « **من يجهز جيش العسرة غفر الله له** »، فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالاً، ولا خطاماً، قالوا: نعم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى{وفي الرقاب والغارمين..}، برقم ١٤٦٨، ٢/١٥٦. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم ٩٨٣، ٢/٦٧٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب، برقم ٢٧٧٢، ٣/٢٥٩. وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوقف، برقم ١٦٣٢، ٣/١٢٥٥.

قال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد(١).

وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ، سباقين إلى كل خير، حريصين على تطبيق النصوص الشرعية، وما تعلموه من قدوتهم محمد ﷺ، فما مات أحد منهم إلاّ وقد أوقف في سبيل الله تعالى، يقول جابر رضي الله عنه: (لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ، ذو مقدرة إلا وقف)(٢).

ثم جاء من بعدهم السلف الصالح من هذه الأمة في قرونها الأولى فاقتدوا بهم، وسار على نهجهم فأوقفوا الأوقاف الكثيرة، وتنوعوا فيها بحسب حاجة زمانهم، وظروف عصرهم وبيئاتهم، فأوقفوا الأوقاف على المساجد لصيانتها، ودفع مرتبات الأئمة والوعاظ والعاملين بالمساجد(٣).

وأوقفوا الأوقاف على المكتبات، والمدارس، والكتاتيب التي تلحق بالمساجد لتعليم القراءة والكتابة واللغة العربية والعلوم الرياضية، وهي تشبه المدارس الابتدائية في هذه الأزمان، ومثلاً: عدّ ابن حوقل عدداً منها في مدينة واحدة من مدن صقلية، فبلغت: ثلاثمائة كُتّاب، والكُتّاب الواحد كان يتسع للمئات، أو الألوف من الطلبة(٤).

وكانت الأوقاف على المكتبات والمدارس والكتاتيب تهدف إلى عمارتها، وتوفير الكتب والمراجع العلمية فيها، وصيانتها، وتجهيزها بما تحتاج إليه للقيام بمهمتها، وتأدية وظيفتها.

---

(١) سنن النسائي، كتاب الأحباس، باب وقف المسجد، برقم ٣٦٠٦، ٦/٢٣٣. وقال عنه الألباني: صحيح، (صحيح سنن النسائي، ٢/٧٦٥).

(٢) المغني، ابن قدامة، ٨/١٨٥.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت / شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم، ١٧/٢٥٧، و ٢٣/١٦٣، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت. ومقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، ١/٤٣٧، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م، ط دار القلم، بيروت. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري الدمشقي، ٢/٢٣٠، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، ط دار الكتب العلمية، بيروت. ورحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، ابن بطوطة، ت / د.علي المنتصر الكتاني، ١/٨٣، و١/١١٦، ٢/٨٢١، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت. والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الفاسي، ت/محمد الطيب حامد الفقي، ١/١٢٧-١٢٩، طبعة ١٣٧٩، ط مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

(٤) انظر: دور الوقف في العملية التعليمية، د/عبد الله بن عبد العزيز المعيلي، (ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية-مكة المكرمة ١٨،١٩ شوال ١٤٢٠هـ)، ص١٧-١٩.

وأوقفوا الأوقاف على الدعاة والمعلمين، الذين يزورون المساجد والسجون وغيرها من الأماكن التي يجتمع بها الناس، لتعليمهم ودعوتهم إلى الله تعالى(١).

وأوقفوا الأوقاف على البيمارستانات – وهي المستشفيات – لعلاج المرضى، وتقديم المساعدة للفقير منهم، وتطوير الطب والصيدلة والعلوم المتعلقة بهما(٢).

وأوقفوا الأوقاف على حراسة الحدود والدفاع عن ديار الإسلام، وذلك من خلال صرف السلاح والعتاد الذي يحتاج له المرابطون، بالإضافة للمال الذي يحتاج له، هو ومن يعوله(٣).

وأوقفوا الأوقاف على رعاية الأيتام والعجزة والأرامل، والإنفاق عليهم، وبناء دور خاصة بهم(٤).

وأوقفوا الأوقاف على رصف الطرق وصيانتها، وحفر الآبار، ومد الجسور، والقلاع والأنهار، وغير ذلك من الأمور التي خدمت الدعوة وساعدت على انتشار الإسلام(٥).

وهذا كله يدلنا على مدى ما بلغه المسلمون من تقدم فكري، وسمو في العاطفة، ونبل في الأخلاق.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢١.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥٧/١٧. وشذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري، ٢٣٠/٢، ٣١٧/٢. ودور الوقف في العملية التعليمية، د/عبد الله بن عبد العزيز المعيلي، بحث مقدم لـ(ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – مكة المكرمة ١٨، ١٩ شوال ١٤٢٠هـ)، ص١٢.

(٣) انظر: المرجع السابق (دور الوقف)، ص١٣.

(٤) انظر: شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري، ٢٢٨/٢. ودور الوقف في العملية التعليمية، د/عبد الله بن عبد العزيز المعيلي، ص١٣.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٥٧/١٧، و٢٣/١٦٣. وشذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد العسكري، ٢٣٠/٢، و٣١٧/٢، و١٠٩/٣. ورحلة ابن بطوطة، ٨٣/١، و١١٦/١، ٨٢١/٢. ودور الوقف في العملية التعليمية، د/عبد الله بن عبد العزيز المعيلي، ص١٢.

الفصل الثاني

صور من الوقف على الدعوة في الحاضر

فكما سبق ذكره في الفصل السابق، من أن المسلمين الأوئل كانوا سباقين للخير، محبين له، فإن الخير ما زال في هذه الأمة باقٍ إلى يوم القيامة – بإذن الله تعالى، وله الحمد والمنة – وخاصة في هذه البلاد التي شرفها الله ﷻ، بوجود الحرمين الشريفين فيها، وبحكومة تطبق شرع الله تعالى، وتدعو إلى دينه، وسنة نبيه ﷺ.

هذا وقد أولت الدولة السعودية منذ قيامها في المرحلة الأولى، على يد الإمامين المجددين محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمهما الله تعالى– عناية كبيرة بالأوقاف، فأوقفوا الأوقاف على خدمة المساجد، وخاصة منهما الحرمين الشريفين.

وأوقفوا الأوقاف على خدمة كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، بطبعهما، ونشرهما بين المسلمين.

وأوقفوا الأوقاف على الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم بين الناس، ببناء المساجد، والمدارس، وإرسال وبعث الدعاة والمعلمين، وغير ذلك من أوجه البر والإحسان، التي تخدم الإسلام والمسلمين.

فمثلاً: من يذهب إلى مكة والمدينة، يجد ويشاهد كثيراً من هذه الأوقاف التي أوقفها أصحابها على الحرمين الشريفين، منها ما هو قديم جداً، ومنها ما أوقف حديثاً في زمن الدولة السعودية، بأطوارها الثلاثة.

ومن أعظم الأمثلة على العناية بالمساجد ما قام به الملك عبد العزيز – رحمه الله تعالى – من توسعة كبيرة للحرم المكي، وصيانة وترميمات للمسجد النبوي، وإيصال للخدمات لهما، واستمر أبناؤه من بعده في مثل هذه العناية، إلى أن جاء خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله تعالى – ليقوم بأكبر توسعة للحرمين الشريفين، كلفت الدولة كثيراً من المال والجهد(١).

هذا وقد تسابق المسلمون في هذه البلاد، كما يظهر ولا يخفى على أحد، إلى عمارة بيوت الله

---

(١) انظر: نماذج تاريخية من رعاية الأوقاف عند الملك عبد العزيز، رحمه الله، بحث مقدم لـ(ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – مكة المكرمة ١٨، ١٩ شوال ١٤٢٠هـ)، ص١٨.

تعالى، المساجد، التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ببنائها، وترميمها، والإنفاق عليها، بل إن كثيراً منها، أوقف عليها بيوتاً خاصة بالإمام والمؤذن، وألحق بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم، ومبرات خيرية لتوزيع الطعام والصدقات على الفقراء والمحتاجين إليها، وألحق ببعض المساجد أماكن لتغسيل الموتى وتجهيز الجنائز للصلاة والقبر، ومثال ذلك مسجد الراجحي بالربوة، ومسجد الدريهمية بحي شبرا في مدينة الرياض، بل بعضها جعل له أوقاف تخدمه وغيره من المساجد، كمسجد آل سعيدان بشارع الثلاثين بحي العليا، إذ جعل في واجهته الجنوبية مجموعة من المحلات التجارية، والشقق التي يعود ريعها للإنفاق على المسجد وغيره من المساجد التي أوقفها آل سعيدان.

أما المكتبات فقد أوقف أهل الخير والمتبرعين، كثيراً منها على المساجد، إذ أصبح لا يخلوا حيٌّ من الأحياء إلا وبه مكتبة عامرة بأمهات الكتب والمراجع العلمية النافعة، بل هناك بعض مكتبات المساجد أصبحت مقصداً للباحثين وطلبة العلم لكبرها وكثرة كتبها التي تعدّ بعشرات الألوف، كالمكتبة الملحقة بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بحي سلطنة بالرياض.

ومن جانب آخر فإن من يسير في مدن المملكة يجد ويشاهد كثيراً من العقار، والمزارع، والنخيل التي أوقفها أصحابها على أوجه البر والإحسان، بل منهم من خصّص غلتها للإنفاق على طلبة العلم والدعاة والعلماء، كبعض المزارع والنخيل التي بمحافظة الدرعية، ومحافظة عرقة، وحي سلطانة بمدينة الرياض.

أما فيما يتعلق بالمشاريع الوقفية الكبيرة، فمن أشهرها مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ومقرها شمال مدينة الرياض، وهي تملك مجموعة من الأبراج الكبيرة الضخمة، والفنادق والأسواق، التي تخدم هذه المؤسسة، التي من أعظم أهدافها خدمة الإسلام والمسلمين، والعلم والعلماء، إذ تملك مكتبة عامة يقصدها عامة طلبة العلم، لتوفر المراجع والكتب والبحوث والخدمات المميزة التي تسهل البحث وتعين عليه.

ومن أبرز أعمالها الجوائز السنوية الضخمة، (مائتا ألف دولار)، والتي تعطى لكل فرع من فروعها الخمسة، والفرع الأول منها لخدمة الإسلام، والثاني في الدراسات الإسلامية، والباقي في فنون أخرى(١).

---

(١) النشرة التعريفية بمؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ومن الأمثلة على المشاريع الخيرية الكبيرة مؤسسة الأمير سلطان للعلوم الإنسانية، التي أوقفها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله تعالى - لخدمة العلم والعلماء، ومقرها شمال مدينة الرياض، على طريق الرياض القصيم السريع.

ومن الأمثلة الكبيرة أيضاً، أوقاف الشيخ / صالح الراجحي، والتي تقع في شمال الرياض، وتضم أسواقاً هي من أكبر أسواق مدينة الرياض (أسواق العروبة)، ومجمعاً سكنياً يضم عدداً كبيراً من الفلل الفخمة بحي الرحمانية بشمال الرياض، وغيره من العقار، الذي خصص ريعه لخدمة الإسلام والمسلمين، وخاصة الفقراء والمساكين.

بل إن الجمعيات الخيرية والدعوية بدأت تتفطن لأهمية الوقف في دعم أعمالها، فعمدت إلى وقف الأوقاف على أعمالها، فمثلاً: فرع جمعية البر بشمال مدينة الرياض، بدأ في إيقاف الأوقاف: فأوقفت مبنيين سكنيين شمال شارع التحلية، ريعهما مخصص لأعمال فرع الجمعية، كما أوقفت محلاً لبيع المواد الغذائية، وذلك لضمان استمرار أعمال الجمعية ومشاريعها(١).

ومن الأمثلة على حرص الجمعيات والمؤسسات الخيرية على الأوقاف، ما تقوم به إدارة المساجد والمشاريع الخيرية، التابعة لرابطة العالم الإسلامي، من إنشاء (وقف الأبرار) في مكة المكرمة، والذي يكلف (٣٠,٠٠٠,٠٠٠) ريالاً، يخصص ريعه للإنفاق في وجوه البر والخير، كبناء المساجد، ودعم المشاريع الدعوية للمسلمين الجدد وغيرهم(٢).

ومن الأمثلة على وقف الأوقاف، ما يقوم به المشروع الخيري لمساعدة الشباب على الزواج بجدة، من تخصيص جزء من دخله لإيقاف الأوقاف، ليستمر في عمله، ورسم خططه الثابتة في تزويج عدد كبير من الشباب والشابات(٣).

وهذا كله يدلنا على أن الخير باقي في هذه الأمة، وخاصة في هذه البلاد المباركة، التي تزخر برجالها، والدعاة إلى الله تعالى فيها.

---

(١) انظر: مجلة الدعوة، العدد ١٧٧١، ١٤٢١/٩/١١هـ، مقابلة مع مدير الفرع، الشيخ / عبد السلام السليمان، ص٧٦.

(٢) المرجع السابق، الصفحة الأخيرة من المجلة.

(٣) المرجع السابق، الصفحة الأخيرة من المجلة.

الفصل الثالث

مقارنة بين الماضي والحاضر

لقد ظهر لنا من الفصلين السابقين مدى حرص هذه الأمة، من أولها إلى يومنا الحاضر، على العمل بنصوص الشريعة، والاقتداء بهدي رسولها محمد ﷺ، في وقف الأوقاف التي تخدم الإسلام والمسلمين، كما ظهر لي بأن هناك اختلافات وفروقات بين حال الأوقاف في الماضي، وحالها في الحاضر، وأستطيع أن ألخص هذه المقارنات في الآتي:

أولاً – أن المسلمين الأوائل وخاصة الصحابة الكرام – رضي الله عنهم أجمعين – أكثر حرصاً على إيقاف الأوقاف من المسلمين في الوقت الحاضر، إذ نجد أن جابراً ﷺ يقول: (لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ، ذو مقدرة إلا وقف)(١).

كما أن الناظر في تاريخ المسلمين يجد أن الوقف كان له وجود كبير في حياة الناس، وخاصة ما يتعلق بالدعوة والتعليم، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وهذا منهم لعلمهم بأهمية الوقف في استمرار هذه الأعمال الخيرة، وعدم انقطاعها، إذ أنها تعتمد على موارد ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والأشخاص.

أما في زماننا الحاضر فإن الذي يحرص على إيقاف الأوقاف، هم فئة قليلة من الناس، ممن وفقهم الله ﷻ، بالإضافة لبعض المؤسسات الخيرية والدعوية التي بدأت تهتم بالأوقاف لِما رأت من تأثر برامجها، وعدم انضباطها في نشاطها، وذلك بسبب عدم ثبات دخلها، واستمراره، فلذا حرصت على تشجيع الوقف، والسعي على إيجاده، من خلال تبني فكرة الأوقاف وجمع التبرعات لها.

فلذا نقول: إن المسلمين اليوم في غفلة عن الوقف وأهميته، وذلك من خلال النظر إلى كثرة عدد المسلمين اليوم، مقارنةً بعدد الأوقاف وانتشارها في مجتمعاتهم. فبالمقارنة يظهر لنا أن الأوائل كانوا أحرص على إيقاف الأوقاف من المتأخرين، وذلك لفقههم، وقربهم من نبيهم ﷺ، الذي تلقوا عنه هذا التشريع، وسمعوا منه التأكيد والحثّ عليه.

ثانياً – أن القائمين على الوقف في السابق، كانوا في الأغلب هم القضاة وعلماء البلد، فإن الناظر

---

(١) المغني، ابن قدامة، ٨/١٨٥.

في كتب الفقه، والتاريخ الإسلامي، يجد أن كثيراً من العلماء وخاصة منهم القضاة قد أسند لهم مهمة النظر في الأوقاف، وإدارتها، وتوزيع غلتها.

أما في الوقت الحاضر، فبدأ الوقف يأخذ صبغة أخرى، فيما يتعلق بالقائمين عليه، إذ أصبح له في كثير من الأحيان هيئة مستقلة، مكونة من العلماء ووجهاء المجتمع لتدبير شؤونه، وتوزيع غلته.

بل في بعض الأحيان تكون الهيئة، وتحدد البرامج، ومصارف الوقف، قبل البدء فيه، كما يظهر ذلك من خلال الإعلانات التي تتبناها المؤسسات الخيرية لدعم بعض المشاريع الوقفية التي تريد الوصول إليها.

ثالثاً - كان الوقف في القديم واضح المعالم، وهناك سهولة في إدارته، وتوزيع غلته على المستفيدين منه، أما في الوقت الحاضر فأصبح الوقف يحتاج إلى فريق متكامل، ومتفرغ في بعض الأحيان لإدارته وتصريف شؤونه، وذلك لكثرة أعماله وتشعبها، وكثرة المستفيدين منها، مما يؤكد الحاجة إلى ضبطهم وحصرهم، وتحديد استحقاقاتهم.

رابعاً - كانت الأوقاف في السابق محددة المصارف، فمنها ما هو مخصص على الفقراء، ومنها ما هو مخصص للمرابطين في سبيل الله، ومنها ما هو مخصص للأيتام،.. وهكذا.

وأما في الوقت الحاضر فبدأت بعض الأوقاف تأخذ في عملها، وتوزيع غلتها الشمول، وكثرة مصارفها وأعمالها، إذ نجد مثلاً أن مصارفَ بعضٍ منها تشمل الدعوة، والجهاد، والتعليم، ومساعدة الفقراء والأيتام، وطباعة الكتب، وغير ذلك من الأعمال الواسعة الشاملة.

خامساً - كان الوقف في الماضي محصوراً في أنواع محددة، أي أنه قد يكون منزلاً للسكنى، أو أرضاً للزراعة، أو محلاً تجارياً، وغير ذلك من المجالات المعروفة في القديم.

أما في الوقت الحاضر، فبدأ الوقف يتسع في أنواعه ومجالاته، كأن يكون أسهماً في أحد الشركات التجارية، أو المصانع، أو أن يكون فندقاً، أو أن يكون الوقف الواحد شاملاً لأنواع كثيرة، كأن يكون سوقاً تجارياً، ومجموعة من المنازل، والمكاتب التجارية، ومواقف السيارات، أي أن حجمه كبيرة ومتعدد المناشط والمجالات.

سادساً - كان الوقف في الماضي نشاطه محدود على فئة معينة، أو صنف أو صنفين على الأكثر،

أما في الوقت الحاضر فأصبح الوقف الواحد له مصارف كثيرة ومتعددة، كأن يكون للفقراء والمساكين، والأيتام والأرامل، والدعاة والعلماء، وطباعة الكتب والنشرات،.. وهكذا، بل قد يشمل القريب، والبعيد، من هم داخل البلاد التي فيها الوقف، ومن هم خارجه في البلاد القريبة والبعيدة.

سابعاً – كانت أنواع الأوقاف في الماضي، ومجالات صرف غلته وثمرته متعددة وكثيرة جداً، فمنها ما هو للمساجد، ومنها ما هو للمدارس، أو المكتبات، أو المستشفيات، أو الفنادق للمسافرين الفقراء، ومنها ما هو للسقايا في المدن وفي الفلوات، ومنها ما هو لإصلاح الجسور والقناطر، وغير ذلك من الأنواع الكثيرة التي كانت عجباً يخيل إلى من يقرأ عنها في كتب التاريخ، أنها من باب المبالغة والخيال، بل قد يتردد بعض الكُتّابِ المعاصرين في ذكرها خوفاً من أن يتهم بالإفراط في القول(١).

أما في الوقت الحاضر، فبعض المجالات القديمة تركها أهل الخير، للدول وحكومات بلادهم لتنفق عليها، كإصلاح الطرق والجسور، وإنارة الطرقات ورصفها للمارة،.. وغير ذلك من المجالات.

ثامناً – كانت الأوقاف في القديم صغيرة ومحددة في الغالب، أما في الوقت الحاضر فأصبحت هناك أوقافاً كبيرة جداً، برأس مال ضخم، لأنه يشترك فيها مجموعة من الناس بأموالٍ متفرقة، فيها القليل وفيها الكثير.

---

(١) انظر: الواق المعاصر للأوقاف في المملكة العربية السعودية، وسبل تطويرها، بحث مقدم لـ(ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – مكة المكرمة ١٨، ١٩ شوال ١٤٢٠هـ)، ص٤٧-٤٨.

الخاتمة

الحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشكره ﷻ ، على توفيقه وتيسيره لي كتابة هذا البحث، وإتمامه على الوجه الذي لا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي وفكري، وأفرغت فيه الوسع، مع اعترافي بالعجز والتقصير، ويقيني أن ما لا يدرك كله؛ لا يترك كله.

ثم إني أناشد كل ناظر عن علم في بحثي هذا، أن يغض الطرف عما نب به القلم، أو زلت به القدم، وأن يمحو سيئات هذا البحث بحسناته، وأن ينبهني مشكوراً إلى ما وقعت فيه من الخطأ، وأن يدعو لي ولوالدي وجميع المسلمين بالعفو والغفران.

هذا وقد وصلت في هذا البحث إلى عدة نتائج منها:

١ – أن الوقف شأنه عظيم، ومترلته كبيرة، فلذا اهتم به النبي الكريم ﷺ، وحث أصحابه عليه.

٢ – كان سلف هذه الأمة من خير القرون في إيقاف الأوقاف، وكثرتها، وتنوعها.

٣ – أن بعض المسلمين في الوقت الحاضر في غفلة عن الأوقاف ودورها الكبير في حياة الأمة، وسير الدعوة، وانتشار الإسلام.

٤ – بدأت بعض المؤسسات الخيرية والدعوية، تنتبه لأهمية الأوقاف في سير عملها، وثباته وتطوره، فأخذت توقف الأوقاف وتحث الناس عليها.

٥ – هناك اختلافات وفروقات بين واقع الوقف في الماضي، وبين واقع الوقف في الحاضر، منها ما يُسجل للماضي، ومنها ما يسجل للحاضر.

وأخيراً: أرجو من الله ﷻ، أن ينفع بهذا البحث، ويبارك فيه، وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.